

المحاضرة رقم: 08

(التصريح والتجميع / التدوير)

أولاً: التصريح

يعدّ التصريح من المحسنات البديعية اللفظية التي تتم عن فحولة الشاعر، فهو يهيّؤ أذن المتلقي لمعرفة رويّ القافية مسبقاً. والتّصريح لغة: مصدر صرّع، وهو مشتقّ من مصراعي الباب؛ ولذلك قيل لنصف البيت الشعري مصراع، وكأنّه باب القصيدة ومدخلها.

وأما اصطلاحاً: فالبيت المصرّع هو ما وافقت عروضه ضربها في رويّ القافية، ويكون التّصريح عادة في البيت الأول من القصيدة، و"اعلم أنّ التّصريح في الشعر بمنزلة السّجع من الكلام المنثور، وفائدته في الشعر أنّه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها".

وقد اهتمّ الشعراء العرب بالتّصريح كثيراً، إلى درجة أنّ الشاعر منهم قد يصرّع في غير موضع تصريح، وهو دليلٌ على قوّة اقتداره وسعة بحره، إلا أنّ الإكثار منه يدلّ على التّكلف.

ومن أمثلة الأبيات المصرّعة التي ما وافق عروضها ضربها في الوزن والروي والإعراب، مطلع قصيدة ابن أحرر: (الكامل)
بَانَ الشَّبَابُ وَأَخْلَفَ الْعُمُرُ وَتَنَكَّرَ الْإِخْوَانُ وَالْدَّهْرُ.

ثانياً: التجميع

التّجميع لغة: مُبالغة الجَمْعِ. واجْتَمَعَ: ضِدَّ تَفَرَّقَ، وَتَجَمَّعَ وَاسْتَجَمَعَ الرَّجُلُ: بَلَغَ أَشَدَّهُ. وأما اصطلاحاً: فالتّجميع يسمّى أيضاً الإخلاف؛ وهو أن يكون الصّدر من البيت الأوّل متهيئاً للتّصريح، فيأتي تمام البيت في العجز بقافية مصروفة على حرف

رويَّ آخَر، وهناك من يرى أَنَّ التَّجْميع من عيوب التَّصْرِيح، وَمِنْ أَمْثَلَةِ التَّجْميع
مطلع قصيدة عمرو بن شَأْس: (الطَّوِيل)

تَذَرْتُ لَيْلَى لَاتَ حِينَ ادَّكَارُهَا وَقَدْ جَنَى الْأَصْلَابُ ضَلًّا بِتَضَلُّلِ
فقد ذَلَّ صدر هذا البيت براء مضمومة، ولكنَّ الشَّاعر ختم قافية عجز بيته بلام
مكسورة.

ثالثا: التدوير:

التدوير لغة: من دَوَّر، يُدَوِّر، تدويرًا، فاسم الفاعل مُدَوِّر، واسم
المفعول مُدَوَّر. دَوَّر الشَّيء: جعله على شكل دائرة.

وأما اصطلاحا: فالتدوير أو التَّدَاخُلُ أو الدَّمَجُ في الشَّعر، ما كان الشَّطْرُ
الأوَّل من البيت متصلاً بشطره الثاني، دون فاصِل ظاهر، غير منفصل عنه،
ويُسمَّى البيت المدوَّر أيضا بـ(المُدْرَج)، أو بـ(المُدْجَل)، أو بـ(المُدْمَج). ويرمز له في
وسط البيت بالحرف (م). ويقال إِنَّ التدوير حيثما وَقَعَ دليل على القوَّة. ويسوِّج
التدوير في كلِّ بحر تامٍّ، تنتهي عروضه بسبب خفيف، مثل: (فاعلاتن) من الرَّمَل،
و(فعولن) من الخفيف، ويستثقل في البحور التي تنتهي عروضها بوتر مجموع، مثل
(فاعلن) من المتدارك، و(مستعلن) من الرِّجْز، و(متفاعلن) من الكامل. ومثال
البيت المدوَّر، إنشطار كلمة (الرَّطْب) في قول أبي نوَّاس: (الرَّمَل المجزوء)

دَمْعَةً كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطِّ بِ عَلَى الْخَدِّ الْأَسِيلِ

والتدوير في القصيدة المعاصرة هو اتصال الأسطر الشعرية بعضها ببعض
اتصالا تاما، بحيث يصعب التوقُّف نغميا ودلاليا في أيَّة مرحلة جزئية إلا إذا انتهى
التدوير. والتدوير في الشَّعر الحر ضربان:

أحدهما: التدوير الجزئي، وهو الذي يكون في إطار السطر الواحد - أو أكثر - مهما
بلغ طوله وعدد تقاعيله.

وثانيهما: التدوير الكلي، وهو الذي يكون في إطار القصيدة كلّها، بحيث تأتي مدوِّرة
تدويرا كاملا من بدايتها حتى نهايتها، كما لو كانت سطرًا واحدًا متصلاً دلاليا
وموسيقيا.

إنَّ الضَّرْبَ الثَّانِي مِنَ التَّدْوِيرِ يَعدُّ مِنْ سُلْبِيَّاتِ الْقَصِيدَةِ الْمَعاصرة، ذَلِكَ أَنَّهُ يَتسبَّبُ فِي طَوْلِ الْجُمْلَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَالطَّوْلُ يَتسبَّبُ بِدَوْرِهِ فِي تَوَقُّفٍ مَفاجِيءٍ أَثناءَ الْقِراءَةِ، مَرَدَّهُ إِلَى تَوَقُّفِ نَفْسِ الْقَارِئِ. وَمِنْ شَأْنِ هَذَا التَّوَقُّفِ أَنَّ "يَمزُقُ خَاصِيَةَ التَّدْفُقِ الشَّعْوَريِّ مِنْ جِهَةٍ... وَأَنَّ يَمزُقَ التَّرابُطَ الْمَعنَوِيَّ لِلْكَلامِ..." مِنْ جِهَةٍ أُخْرى.

أَمَّا التَّدْوِيرُ فِي الشَّعْرِ الْحَرِّ فَيُطْلَقُ عَلَى اتِّصَالِ أُسْطَرِ الْقَصِيدَةِ بِعَعضِها بِبَعضٍ، بِحَيْثُ يَصْعَبُ التَّوَقُّفُ نَغْمِيًّا وَدَلالِيًّا فِي أَيَّةِ مَرَحَلَةٍ، إِلَّا إِذَا انْتَهَى التَّدْوِيرُ. وَقد تَنقَسِمُ النِّفْعِيَّةُ بَيْنَ نَهايةِ السَّطْرِ الشَّعْوَريِّ وَبدايةِ الَّذِي يَلِيهِ وَيَسَمَّى ذَلِكَ التَّدْوِيرَ

العَرُوضِي؛ مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ: (الرَّمْلُ)

ضَحِكْتُ ← فَعَلًا.

ثَوْبِي الدَّمشَقِي الْحَرِير ← تَنْ. فاعلاتن . فاعلات

أَوْ بَيْنَ نَهايةِ سَطْرِ وَبدايةِ آخَرٍ نَحْوُ:

وَبَناتُ الْماءِ مازَلْنَ ← فَعَلاتن. فاعلاتن. فَا

عَلَى الدَّهْرِ صَبايا ← عَلاتن. فاعلاتن

وَعَلَى سَبِيلِ التَّمثِيلِ لَا الْحَصْرَ نَأْخُذُ السَّطْرَ الشَّعْوَريَّ "ضَحِكْتُ"، الَّذِي يَعدُّ بَنِيَّةً دَلالِيَّةً مَكْتَفِيَّةً – إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ – بِذاتِها مَعْبَرَةٌ عَنِ فِعْلِ الضَّحْكِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا السَّطْرَ لَا يَشْكَلُ بَنِيَّةً مُوسِيقِيَّةً مُسْتَقَلَّةً لِقِيامِهِ عَلَى نِصْفِ تَفْعِيلَةٍ، نِصْفِها آخَرُ فِي السَّطْرِ الشَّعْوَريِّ التَّالِيِ لَهُ.